

سُورَةُ الْحَجِّ

❁ التعريف العام بالسورة:

نزول السورة
للتثبيت بعد
المعاناة الحافلة
بالأحداث
والتحديات

إنَّ أسلوبَ معظمِ آياتِ السَّورةِ ومضمونها يُسوِّغانِ ترجيحَ صحَّةِ روايةِ مكِّيَّتها، مع احتمالٍ أن تكون بعضُ آياتها مدنيَّةً⁽¹⁾، وقد ذكر ابنُ تيميَّة أنَّ فيها المكيَّ والمدنيَّ، واللَّيليَّ والنَّهاريَّ، والسَّفريَّ والحضريَّ، والشَّتائيَّ والصَّيفيَّ⁽²⁾.

وسورةُ الحجِّ هي السَّورةُ الثَّانيةُ والعشرون في ترتيبِ المصحفِ الشَّريف، جاءت بين سورتي الأنبياء والمؤمنون، وعددُ آياتها: سَبْعُونَ وأربعُ آياتٍ في الشَّاميِّ، وخمسةٌ في البصريِّ، وستٌ في المدنيِّ، وسبعٌ في المكيِّ، وثمانٍ في الكوفيِّ⁽³⁾.

وأما ترتيبُها النَّزوليُّ: فقد ذكر بعضهم أنَّ ترتيبها الثَّامنةُ والثمانون بين سورتي الرَّعد والرحمن⁽⁴⁾، والترتيب النَّزوليُّ ليس قطعياً في ثبوته لافتقاده إلى صحَّةِ الروايات، وممَّا يؤكِّد ذلك اختلافُهم فيه، ولكن مع هذا كله، فهم على الأقلِّ متفقون على أنَّها من أواخر السُّورِ نزولاً قبل الهجرة إلى المدينة المنورة.

ملابسات النزول:

وقد نزلت هذه السَّورةُ إثرَ فترةٍ طويلةٍ من حياة المسلمين بمكة، فجاءت تحملُ في طياتها ما تُثبت به فؤاد النَّبيِّ ﷺ، وترفعُ من معنوياته، بذكر طائفةٍ من الأنبياء، كذبوا قبله من أقوامهم، مثلما فعل أقوامُ نوحٍ وإبراهيمَ ولوطٍ وأصحابِ مدين، وقومِ موسى، وقد

(1) دروزه، التفسير الحديث: 8 / 6.

(2) ابن تيميَّة، الفتاوى الكبرى: 265 / 15.

(3) الدَّاني، البيان في عدِّ آي القرآن، ص: 189.

(4) دروزه، التفسير الحديث: 8 / 6.

أخذهم الله جميعاً أخذ عزيز مقتدر، فكان نزول السورة بعد جو مشحون، يمثل ذروة الصراع بين الحق والباطل، في مرحلة ساخنة من مراحل الدعوة في مكة.

✽ أسماء السورة الكريمة:

سورة (الحج)
لَمْ تُسَمَّ بِاسْمٍ
غَيْرِهِ فِي الْأَثَرِ

ليس لهذه السورة إلا اسم واحد، هو (الحج)، سُميت به في جميع المصاحف، وكتب التفسير والسنة، وهو اسمها الثابت رواية وشهرة.

وذكروا في وجه تسميتها بذلك: أن الله ذكر فيها كيف أمر إبراهيم ﷺ، بالدعوة إلى حج البيت الحرام، وذكر ما شرع للناس يومئذ من النُسك؛ تنبيهاً بالحج وما فيه من فضائل ومنافع، وتقريعاً للذين يصدون المؤمنين عن المسجد الحرام، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحج على المسلمين بالاتفاق، وإنما فرض الحج بالآيات التي في سورة البقرة، وفي سورة آل عمران⁽¹⁾.

وتسميتها بسورة الحج ليس لاختصاصها بذكر هذه الفريضة فيها، فقد شاركتها في ذلك الزهراوان وزدّن عليها بتقرير الفريضة، وإنما هو ناشئ عن ارتباط هذا الاسم بمحورها ومقصودها العام، حيث إنها جاءت لتعرض أثر الإيمان بالله واليوم الآخر وإقامة شعائر الله في العبادات الظاهرية تحقيقاً لهوية الأمة المسلمة، والتمكين لها في الأرض، من بين سائر الناس، لذا فإنها عرضت لفريضة الحج، في سياق بيان جزاء من كفر بالله واليوم الآخر، وصدّ عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، الذي رفع إبراهيم ﷺ قواعده.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 179.

❖ بيان محور السورة العام والموضوعات التي تلتف حوله:

الإيمان بالله
واليوم الآخر هو
الملاذُ الأَمَنُ من
أهوال الساعةِ

المحور الرئيس الذي عالجته السورة، يتعلّق بتقرير أثر الإيمان بالله واليوم الآخر، في تحقيق التّمكن للمؤمنين الذين يقيمون شعائر الدين في الأرض، وقد عملت السورة على بيان أحوال الناس ومواقفهم إزاء دعوتهم؛ لتحقيق هذا الرّكن الرّكين في حياتهم، من خلال إقامة الأدلة في الأنفس والآفاق، على تحقّق هذا الإيمان في نفوسهم، من خلال ضرب الأمثال والتّشبيهات التي تُفَرِّم الكفر بالله، وإنكار البعث والمعاد، ومن خلال بيان مآل المُكذّبين السّابقين، ثمّ بيان ما ينتظر كلّ فريقٍ من النّاس في يوم الحساب العظيم.

وفي بيان مواقف النّاس من هذه الدّعوة، وما حلّ بهم، بيّنت السّورة الكريمة بعض هذه الأصناف، بترارٍ عبارة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾، مُنَاطَةً بالمُجَادَلَةِ بغير عِلْمٍ، واتّباع الشّيطان المريد، والمُجَادَلَةِ بلا هُدًى ولا كتابٍ منيرٍ، وعبادة الله على حَرْفٍ، مع الاطمئنان بالخير إن حصل، والانتقالب على العقب عند طُروءِ الفتنة.

وقد ضربت السّورة الأمثال، وأقامت الصّور البيانيّة والتّشبيهات، في حقّ أصناف المُكذّبين من النّاس، بأسلوبٍ تفرّدت به في التّعامل مع مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الله تعالى لن ينصر دينه ونبيّه.

وتعرّضتْ للأثر الدُّنيويّ لهذا الإيمان بالله واليوم الآخر، في حياة المؤمنين والكافرين، فقد ظهرَ في عدّة مواضع منها تتعلّق بالكافرين، من القُرَى المهلكة، وبالمؤمنين الذين يُدافع الله عنهم، ممّن أطاع الله، وأمرَ بالمعروف ونهى عن المنكر، وفَقَّ مُرادِ الله تعالى.

وقد حُتِمَتِ السّورة الكريمة، بِذِكرِ عوامل التّمكن للمؤمنين، كما تعرّضتْ للأثر الأخرويّ لكلا الفريقين، بدخول المؤمنين جنّات تجري من تحتها الأنهار ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا

وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ [الحج: 23]، وتعذيب الكافرين بثيابٍ مقطَّعةٍ مِنَ النَّارِ، وصَبَّ الحميمِ على رؤوسهم، لُتْصَهَرَ به بطونهم وجلودهم، على سبيل تصويرِ شناعةِ العذابِ وقسوته.

❁ بيان المناسبة بين السورة وما قبلها وما بعدها:

السورة متصلة
بسورتي الأنبياء
والمؤمنون
مضمونا
وأسلوبا

جاءت سورة الحج في الترتيب المصحفي بعد سورة الأنبياء، ووجه اتصالهما: أنه لما خُتِمَتِ الأنبياءُ بالترهيبِ مِنَ الفزع الأكبر يوم الدين، حيثُ تَطَوَّى السَّمَاءُ، ويأتيهم ما يوعدون، ويدانون بما يستحقُّون، افْتَتَحَتِ الْحَجَّ بالأمر بالتَّقْوَى، الْمُنْجِيَةِ مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ اليوم العظيم⁽¹⁾.

ويتجلى اتصال السورتين المكيَّتين، في كون الثانية مكملةً للأولى، وخلاصة تلك الوجوه، فيما يأتي⁽²⁾:

الأول: أن آخر سورة الأنبياء كان في أمر القيامة، حيثُ تَطَوَّى السَّمَاءُ طَيًّا، ويقترب الوعدُ الحقُّ، فكان أن صُدَّرت سورة الحج بالاستدلال على البعث بالبراهين العقلية.

الثاني: وأنه قد أُقيمت في سورة الأنبياء الحجُّ الطبيعيُّ على الوحدةانية، فجاء السياق في الحج يجعل العلم الطبيعي من براهين البعث.

الثالث: وأن سورة الأنبياء ملأى بقصص النبيين، وبراهينهم لقومهم، فجاءت سورة الحج خطاباً مِنَ اللَّهِ لِلْأُمَّمِ الْحَاضِرَةِ؛ لتبنيه السَّمْعِ، والتَّعْرِيفِ بِصُنْعِ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ، وتدبيره خَلْقَ الْأَجْنَةِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانِ.

وأما عن ارتباطها بسورة (المؤمنون) بعدها⁽³⁾، فنلخصه في ما يأتي:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 1/ 13.

(2) المرآة، تفسير الرازي: 83 / 17.

(3) المرآة، تفسير الرازي: 3 / 18.

الأول: كونه تعالى ختم السّورة السّابقة بخطاب المؤمنين، وأمّرههم بإقام الصّلاة وإيتاء الزّكاة، وفعل الخيرات، لعلّهم يفلحون، وحقق فلاحهم في بدء هذه السّورة.

الثاني: وأنه تكلم في كلّ من السّورتين عن النّشأة الأولى، وجعل ذلك دليلاً على البعث والنّشور.

الثالث: وأنّ في كلّ من السّورتين قصصاً للأنبياء الماضين وأمهمهم، ذكّرت عبرة للحاضرين والآتين.

الرابع: وأنه تعالى نصب في كلّ من السّورتين أدلّة على وجود الخالق ووحدانيّته.

❁ الموضوعات الرّئيسة للسّورة:

احتوت هذه السّورة على عدد من الموضوعات، نوجزها في النّقاط الآتية⁽¹⁾:

أولاً: بيان أنواع النّاس في هذه الحياة، وعاقبة كلّ نوع.

ثانياً: إقامة الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، وعلى أنّ البعث حقٌّ، بأسلوبٍ منطقيٍّ واضح، يقنع العقول، ويهدي القلوب.

ثالثاً: الحديث المفصّل عن تعظيم الشّعائر، خصوصاً فريضة الحجّ، وما اشتملت عليه هذه الفريضة من منافع وآداب وأحكام.

رابعاً: المقارنة بين مصير المؤمنين، ومصير الكافرين.

خامساً: بيان سنن الله في خلقه، التي من أعظمها: دفاعه عن المؤمنين، ونصره لهم، وعدم إخلاف وعده.

❁ الخصائص الموضوعيّة والأسلوبيّة للسّورة:

أولاً: الخصائص الموضوعيّة:

سورة الحجّ تشبّه في مطلعها سورة النّساء، فقد ذكّرت سورة النّساء النّاس ببداية خلقهم من نفس واحدة، وذكّرتهم سورة الحجّ بمعادهم ونهايتهم، وختمت كلّ سورة منهما بما تكون به التّقوى⁽²⁾.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 269 / 9 - 271.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 476 / 9، والراغب، تفسير الراغب: 3 / 18.

وقد امتازت سورة الحج بكثرة الحديث عن الناس، حيث وردت لفظة (الناس) نحو خمس عشرة مرة⁽¹⁾، منها أربع مرات بأسلوب النداء⁽²⁾، وتحدثت عن الحج وأحكامه، وعن البعث وما يجري فيه، مما هو مرتبط بالناس؛ لأن موقف عرفات في الحج يذكرهم بالبعث، وموقف الخلائق في صعيد واحد يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وامتازت أيضاً باستعمال أسلوب الاستفهام التقريري، في أكثر من موضع من السورة⁽³⁾، وهذا الاستفهام جاء في معرض تذكير الناس بآيات الله في الأنفس والأفاق، للدلالة على الله سبحانه وتعالى وعظمته، على سبيل الإلزام بالحجة، وانتزاع الاعتراف منه بما يريد المتكلم، وفي ذلك غرض نفسي يتوافق مع حال المخاطب والمتكلم.

وامتازت السورة بكثرة الأمثلة، التي لم تشاركها فيها سورة أخرى، وذلك بما يتلاءم مع موضوعاتها التي اختصت بها⁽⁴⁾، كما امتازت بأنها تحدثت عن خلق الإنسان ومراحل تطوره بدقة متناهية، وفصلت بين كل مرحلة من المراحل السبع بحرف (ثم)، الذي أفاد التراخي الرتبّي والزمني، بما يتلاءم مع آفاق العلم وروعة البيان، ويميزها عن غيرها من آيات الخلق في كتاب الله في الآية الخامسة منها.

ثانياً: الخصائص الأسلوبية:

يمتاز أسلوب السورة - في مجموعه - بالقوة والشدة والرّهبة، والإنذار والتحذير، وغرس التقوى في القلوب بأسلوب تخشع له النفوس، مما يظهر في كثير من آياتها.

وامتازت السورة بوجود سجدتين، في الآيتين [18، 77] دون بقية السور، ويكون لفظ ﴿شَعِيرٌ﴾ [الحج: 32، 36] ذكر في السورة مرتين، من أصل أربع مرات واردة في القرآن كله⁽⁵⁾.

وكذلك ذكرت مادة (نَسَكَ) ومشتقاتها، ثلاث مرات في السورة، من أصل خمس مرات في القرآن كله⁽⁶⁾.

(1) الآيات: (1، 2، 3، 5، 8، 11، 18، 25، 27، 40، 49، 65، 73، 75، 78).

(2) الآيات: (1، 5، 49، 73).

(3) الآيات: (18، 63، 65، 70).

(4) من أمثلة التشبيهات الخاصة بسورة الحج: مشهد البعث للزلزل الزهيب (الآيات: 2، 1)، ومشهد ذلك المتزعزع في دينه (الآية: 11)، وحركة من يتس من نصر الله (الآية: 15)، ومشهد العذاب (الآية: 22، 19)، ومشهد من يشرك بالله (الآية: 31)، ومشهد القرى المدمرة بظلمها (الآية: 48، 45)، وضرب الثقل بالذباب (الآية: 73).

(5) الآيات: (البقرة: 158)، (المائدة: 2)، (الحج: 32، 36).

(6) الآيات: (البقرة: 196)، (الأنعام: 162)، (الحج: 34، 67).

كما انفردت السُّورَةُ بتعابيرٍ وتراكيبٍ عن غيرها، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [الحج: 15]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: 18]، وقوله تعالى: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: 52]، وقوله تعالى: ﴿فَيَنْسُخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ [الحج: 52]، وقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ﴾ [الحج: 9]، وقوله: ﴿الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ [الحج: 36]، وقوله تعالى: ﴿وَجَبَّتْ جُؤْبَهَا﴾ [الحج: 36]، وقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ [الحج: 30]، وغيرها. ناهيك عن أبنية صرفية خاصة بها، ومن أمثلة الصيغ الصرفية الخاصة بسورة الحج: ﴿حَمَلٍ﴾ [الحج: 2]، و﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: 5]، و﴿هَامِدَةٍ﴾ [الحج: 5]، و﴿حَرَفٍ﴾ [الحج: 11]، و﴿يُصْهَرُ﴾ [الحج: 20]، و﴿وَالْبُدْنَ﴾ [الحج: 36]، و﴿صَوَافٍ﴾ [الحج: 36]، و﴿ضَامِرٍ﴾ [الحج: 27]، و﴿عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]، وغيرها، ولا شك أن هذه الألفاظ مرتبطة تمامًا بمحاور السُّورَةِ الفرعية.

وتضمنت في فواصلها اثنين وعشرين اسمًا من أسماء الله الحسنى، من نحو: ﴿قَدِيرٌ﴾ [الحج: 6]، ﴿شَهِيدٌ﴾ [الحج: 17]، ﴿الْحَمِيدُ﴾ [الحج: 24، 64]، ﴿لَقَوِيٌّ﴾ [الحج: 40، 74]، ﴿عَزِيزٌ﴾ [الحج: 40، 74]، ﴿لَعَلِيمٌ﴾ [الحج: 59]، ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحج: 52]، ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: 58]، ﴿حَلِيمٌ﴾ [الحج: 59]، ﴿لَعَفُوٌّ﴾ [الحج: 60]، ﴿غَفُورٌ﴾ [الحج: 60]، ﴿سَمِيعٌ﴾ [الحج: 61، 75]، ﴿بَصِيرٌ﴾ [الحج: 61، 75]، ﴿الْعَلِيُّ﴾ [الحج: 62]، ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الحج: 62]، ﴿لَطِيفٌ﴾ [الحج: 63]، ﴿خَبِيرٌ﴾ [الحج: 63]، ﴿الْعَنِيُّ﴾ [الحج: 64]، ﴿لَرَّءُوفٌ﴾ [الحج: 65]، ﴿رَحِيمٌ﴾ [الحج: 65]، ﴿الْمَوْلَى﴾ [الحج: 78]، ﴿النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

وأنَّ هناك كلماتٍ من أسماء وأفعالٍ، تفرَّدت السُّورَةُ بها في مادَّتها، فلم تُذكر في غيرها ولو بمشتقاتٍ أخرى.

من هذه الأسماء التي تفرَّدت هذه السُّورَةُ بها: ﴿وَيْثِرٌ﴾ [الحج: 45]، و﴿تَفَثُّهُمْ﴾ [الحج: 29]، و﴿صَوَامِعُ﴾ [الحج: 40]، و﴿ضَامِرٍ﴾ [الحج: 27]، و﴿عِطْفِهِ﴾ [الحج: 9]، و﴿عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27]، و﴿مَقْلَعُ﴾ [الحج: 21]، و﴿هَامِدَةٍ﴾، و﴿الْعَتِيقِ﴾ [الحج: 29، 33]، و﴿وَالْمَجُوسَ﴾ [الحج: 17]. ومن الأفعال: ﴿تَذْهَلُ﴾، و﴿يَسْطُونُ﴾ [الحج: 72]، و﴿يَسْلُبُهُمْ﴾ [الحج: 73]، و﴿لَهْدِمَتْ﴾ [الحج: 40]، و﴿وَجَبَّتْ﴾ [الحج: 36]، علمًا بأنَّ هذه الألفاظ لها ارتباطٌ بالحديث عن عاقبة الكافرين، وأحداث الساعة، وشعيرة الحج، وآيات الله الكونية، وغير ذلك من الموضوعات التي تُصَبُّ في المحور الرئيس لهذه السُّورَةِ الكريمة.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 34، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-76-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 34: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحج الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-76-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النजार»